المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد غرة ذي القعدة سنة ١٣١٩ — ٩ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٢)

« باب المقالات »

نساء المسلمين وتربية الدين

« ورأيا كاتبة اوربية . واميرة مصرية »

يقولون لا يصلح حال المسلمين الا اذا صلح حال نسائهم لان النساء نصف الامة الذي يربّي كل افرادها التربية الاولى التي هي أساس وأصل لما بعدها . وهذا القول صحيح لا خلاف فيه وانما الخلاف فيما يصلح به حال نساء المسلمين

يقول قوم انه يصلح بالتعليم ولذلك رغب الجماهير في هذا العصر بتعليم البنات ولكننا نرى اكثر المتعلمات شراً من غير المتعلمات مازدن بيوت آبائهن ثم بيوت بعولتهن الا شقاء وتعاسة جد بما يكلفنهم من اعباء الازياء وأوزار الزينة وأثقال الحلية والماعون وآصار الاثاث والرياش وما يرهقنهم من العسر في امورهم ، وما يدفعن من الكيد في محورهم ، ومن غير هؤلاء المتعلمات محصنات غافلات حافظات للغيب بما حفظ الله . رأيت

منهن بنتاً فقيرة تمشي في شارع العباسية وقت الغروب فمد يده اليها شاب من مجّان الافندية فصاحت به : ويلك أيها الوغد الاثيم ، والمتُلّ الزنيم ، أتعرف الى من مددت يدك ؟ كنت مارًّا فسمعت صوتها فرميت ببصري الى حيث سمعت الصوت فرأيت فتاة عليها جلباب اسود خلق وقناع كأنه ملحفة زيّات ورأيت ما لم يره صاحب اليد الخاطئة — رأيت على رأسها تاجاً من العزة والامانة ، وعلى عاتقها حللا من العفة والصيانة ، ورثتها مما ترك الامهات والجدات من خشية الله تعالى وحفظ ما امر بحفظه

لا أقول ان التعليم ضارٌّ بذاته لذاته وانما ينفع التعليم اذا كان معه تربية قويمة فاذا كنا محتاجين الى مثقال من التعليم فنحن احوج منه الى قنطار من التربية ولا تربية الا بالدين وآدابه وفضائله . ارأيت تلك البنت الفقيرة البائسة التي كان من امر استقلالها وسلطان عصمتها ما سمعت انها لأحسن تربية من اللائي تعلمن او اخذن الشهادات من المدارس ان كان فيهن من تربت في بيت ابيها . واني ذاكر لك واقعة عنهن بازاء واقعة البائسة الفقيرة. أخبرنا رجل غريب نبيه انه دخل مكتبةً في مصر يشتري شيئاً فالفى بعض بنات المدارس يبتعن بعض ادوات الدراسة والفى صاحب المكتبة يمازلهن ويماغينهن حتى بلغ من تماديه في غيه ان مديده الى صدر احداهن يعبث بثديها فكأنهن وقفن انفسهن على العلم والتعليم حتى أبحن صدورهن لمن يتعلم فنّ الثديّ القوالك والكواعب والنواهد

هذا المسَنُ والفنوك والمجون والتهتك والتخنث هو الذي اقام قيامة الناس في مسئلة الحجاب ، ورأوا طلب التخفيف فيه من العجب العجاب ، فذهبوا في النظر والاستدلال ، مذاهب الوهم والخيال ، وطال المراء

والجدال ، ولعمري ان فتاة العباسية كانت سافرة وفتيات المكتبة كنّ متبرقعات ولكن بمناديل الشفوف ، لا بحجاب الشرع المعروف ، « فعليك بذات الدين تربت يداك »

في مصر الآن كاتبة من عقائل الفرنساويات السائحات لها عناية بالوقوف على شؤون نساء المسلمين وقد اقامت في الاستانة العلية زمناً طويلاً ومقامها في هذه السنين بالجزائر وهي تكتب نتائج اختبارها في قصص مما يسمونه (رومان) مبينة فيه رأيها وقد كان من تأثير قصة منها طبعت ونشرت أن أصدر مولانا السلطان الاعظم (أيده الله تعالى بالنصر والتوفيق) امره بمنع المسلمين من اتخاذ النساء الاوربيات خادمات ومربيات فاشاع بعض الاتراك ان السبب في المنع ان هؤلاء المربيات والخوادم ينقلن الأخبار الشفاهية بين وجهاء الاستانة وكبار الموظفين وانه لم يبق لهم غير هذه الصلة الامينة فعلم بها السلطان فقطعها حتى تقطّع بينهم والصواب ان السبب في المنع هو ما جاء في تلك القصة التي نشرتها تلك الكاتبة على ما قالت لبعض وجهاء مصر

ذلك انها قالت في القصة : ان ما يظنه الأوربيون من ان خدور نساء المسلمين او ما يسمّى عندهم (الحرم) هو عبارة عن ماخور خفي او بيت فجور سرّي هو ظن آثم ، وحكم ظالم ، ولقد سبرت الاغوار ، ونبشت البئار ، ووقفت على ماوراء الاستار ، فعلمت بعد طول الاختبار ، ان النساء المسلمات ، هن المحصنات الطاهرات ، وان ما وجد في بعض البيوت من لوث في الاعراض فانما هو في البيوت التي تعلم النساء فيها عند الاوربيين او دخل فيها الخوادم والمربيات الأوربيات فهؤلاء المسلمات تركن بهذا التعليم

الناقص آداب دينهن وفضائله المؤثرة فى اصلاح النفوس فأمسين عابدات الهوى لا وازع لهن من انفسهن . قالت الكاتبة : وعندى ان يستحيل إصلاح حال المسلمين الا بارجاع الدين الى البيوت . تعني تربية النساء تربية دينية إسلامية ، ويا لها من حكيمة زكية

زارت هذه الكاتبة العاقلة احد فضلاء المسلمين فى مصر لتسأله عن أحكام دينية تريد الكلام عنها فى قصة تشتغل بتأليفها الآن على وجه الصواب ومما قالته انها عرفت بعض الاميرات فى مصر فارادت ان تستعين بها على السعي فى تربية البنات تربية دينية فضلّ سعيها وخاب املها . كتبت الى الاميرة كتاباً تذكر فيه تأثير دين الاسلام فى اصلاح النفوس وتهذيب الاخلاق وتقيم الحجج القيّمة والبراهين الناصعة على ان حال النساء لا يصلح الا بالدين وحال البيوت لا يصلح الا بالنساء وحال الامة لا يصلح الا بالبيوت التى تتألف الامة منها . ثم تستنجد بها على السعي فى « إرجاع الدين الى البيوت » بعبارات تبعث الشعور ، فى سكان القبور ، وتلين لها الجنادل والصخور ، وان كان لا يلين قلب المختار الكفور ، فأجابتها الاميرة الخطيرة سليلة محمد على الكبير : انك ايتها المدام تحاولين ان ترجعي بنا الى رق الرجال وأسرهم وان تسلبينا ما منحته الحرية من اطلاق السراح وتعيدي أرجلنا الى تلك المقاطر والقيود وتجعلي فى أعناقنا تلك الأوهاق والاغلال فكيف نرضى بان نترك الحرية للعبودية ، ونستبدل المدنية بالمدنية ، : هذا معنى ما كتبته الاميرة بالفرنسوية فليعتبر المسلمون بامرائهم واميراتهم

ان بركان الفساد والفجور ، لم ينفجر الا من تلك القصور ، وقد القى قذائفه المهيئة على ما جاور القصور وقاربها من البيوت العالية ومنها تعدى

الى البيوت الصغيرة، ثم الى الخيم والاكواخ الحقيرة . ذلك ان مدار التربية العمومية والمذاهب الاجتماعية على التأسي والقدوة وسنة الكون في الاسوة ان تقتدي كل طبقة بما فوقها وفي الامثال السائرة « ان السمكة تنتن من رأسها » فكما أفسد الامراء رجال الامة وأماتوا استقلالهم الشخصي الذي هو اصل استقلال الامة كذلك فعل نساؤهم بنساء الامة — علَّمْنَهُنَّ الترف والسرف والمخيلة والانغماس في النعمة وابداء الزينة وحبين اليهن الخلاعة والتهتك بل اغوينهن بشرب الخمرة ام الخبائث ومنبع الفتن وآفة العفة والصيانة فكيف يرجى منهن بعد هذا كله ان يهدمن كل ما بنين ويسعين ببناء صالح جديد يكون منبعاً لكل صلاح الا وهو اعادة الدين الى البيوت بعد ما فارقها حزيناً مهيناً ؟؟

لقد جرى القلم بسائق الامتعاض والانفعال الى ميدان لم يكن من القصد جريه فيه فلنمسك بعنانه ونصرفه عنه وان لنا لعودة الى بيان هلاك الامم بالترف والسرف نفصل القول فيه تفصيلاً . اما تربية النساء بالدين او ارجاع الدين الى البيوت كما تقول الكاتبة الفرنسوية الفاضلة فهو عضلة العقد واكبر المشكلات لان الطريقة المثلى التي تجب لا يعرفها الا الاقلون ولا بد لها من كتب مخصوصة تجمع بين السهولة والتأثير لتعين عليها فهل يتعب نفسه العارف بوضع كتب في ذلك وينفق فضل ماله في طبعها وهو يعلم انها لا تروج في المدارس لان الحكومة لا عناية لها بالدين وان المدارس الاهلية لا غرض لها الا التجارة وهي دون مدارس الحكومة في كل شيء ؟؟ نعم لو ان في البلاد عدداً كبيراً من اهل العقل والغيرة يعرفون قيمة هذا العمل ويوازرون من يقوم به ويعملون بما يرشد اليه في

بيوتهم لوجد القائم به ولكن قومنا مشغولون عن كل هذا باللهو واللعب ببذل الغني ماله فى طلب لقب ضخم يتبجح به او وسام لامع يزين به صدره يوم لقاء الامير فى العيد وهم غافلون عمّا فى بيوتهم من معاول الخراب، وعن سير امتهم فى طرق العدم والانقراض، ولحادعيهم المكانة الاولى عندهم « وقد يستفيد الظنة المتنصح »

« المسلمون فى أفريقيا لقسيس انكليزي[1] »

قرأ (القسيس اسحاق طيلر) بالامس صحيفة قال فيها ان الاسلام من حيث هو دين تبليغي (أي جعل اساسه على تبليغ عقائده الى الناس بطريق الدعوة واقامة الدليل والحجة وتفويض الامر للنظر والتفكر فى الوصول الى المطلوب علمه من تلك العقائد ولم يجعل اساسه على الالزام بما لا يعقل بطريق جبري) قد نجح فى قطعة أرض عظيمة من العالم نجاح الديانة المسيحية (تحير من السامعين)

الداخلون فى الاسلام من الوثنيين لا أقول فيهم انهم اكثر عدداً من الداخلين منهم فى المسيحية فقط بل ازيد على ذلك ان المسيحية تتخبط بالفعل بين يدي الاسلام والمساعي المبذولة لتنصير الامم المسلمة ترجع الى الحيبة رجوعاً ظاهراً. ليس امرنا واقفاً عند العجز عن احداث مواطيء

(١) للقسيس اسحق طيلر الانكليزي الذي توفي من عدة اشهر خطب وكلام عادل عن الاسلام والمسلمين نشر في الجرائد الانكليزية منذ سنين فكان له دوي عظيم وقد عرب بعضه ونشر في ثمرات الفنون الغراء وقد رأينا ان ننشر ما نقف عليه من ذلك وننشره فى المنار بالتدريج وهذه المقالة معربة عن البال مال غازيت الانكليزية من بضع عشرة سنة